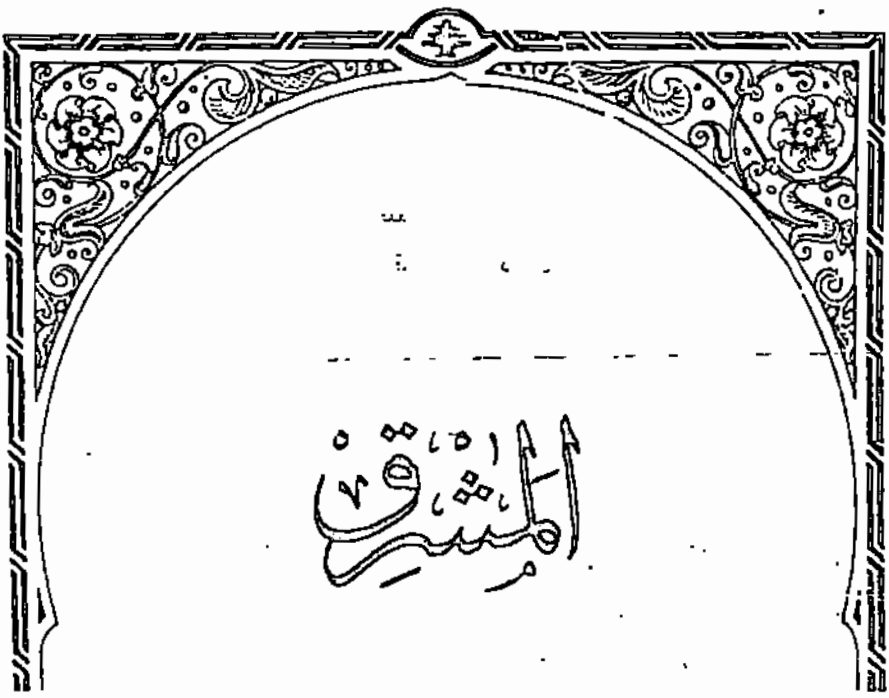

السنة الثامنة والاربعون — تموز – آب – ايلول – ت ١ ١٩٥٤

الآثارُ المطوّيّة (تابع)

جمعها وعلق عليها ونشرها الاب انطونيوس شبلي اللبناني
رئيس انطوش جبيل

« وقال (الشيخ ناصيف اليازجي) في النزل »[1]

ان للشيخ ناصيف اليازجي ثلاث قصائد غزلية في هذا المخطوط الذي نحن بصدده عدا ميميته الفريدة في بابها، وما لا ريب فيه انهُ نظمها في عهد شبابه ، يوم كان الشعر من طلّابه ، ولا نظنُّ ان شاعرًا مهما كان مقامهُ وحالهُ ، يخلو شعره من غَزَلٍ او نسيب . ويظهر ان الشيخ بعد نظمه هذه القصيدة الغزليّة الاولى ضرب عنها صفحاً بعد ان استعار ما استطابهُ من ابياتها ، وبدل بعض كلماتها ، وصدّر بها قصيدتهُ الجوابيّة للسيد عبدالله مصيب من بغداد[2] . واننا ننشرها على هذه الصفحات كما هي مسطّرة في المخطوط ، لا رغبةً في الغَزَل او التشبيب والنسيب ،

١) المخطوط ص ٤٥٤ .

٢) راجع هذه القصيدة الجوابيّة في مجموعة ديوانهِ المثلّث ، صفحة ٥٩ ، « نفحة الريحان » المطبوع بالمطبعة الشرقية ، الحدث – لبنان ، سنة ١٩٠٤ ، بنفقة ميخائيل ابرهيم رحمه .

بل لانها اثرٌ مطويٌ ، من آثار الشيخ ناصيف اليازجيّ ، مواصلين نشر ما احتجب من آثار قلمه الشائقة .

شوقٌ يهيجُ وقلبٌ طالما خفقا ... لهفٌ في الدجى علّمتها الأرقا
ومهجةٌ وهي نارٌ في المحبّة قد ... ذبت على شمعةٍ ، فاعجبْ لما انفقا
يا من بخدّيه نارٌ من عجائبها ... اذا تباعد عنها قلبيَ احترقا
أشبهتُ لاماً ومن عطفيكَ لي ألفٌ ... أم ترى ألفاً باللام مستتقا
مَن منصفي يا لقومي في المحبة من ... ظبيٍ انا عبدهُ وهو الذي أبقا
كأنما حدّثوه أنّ منطقهُ ... درٌّ فغار عليه كلّما نطقا
سرقتُ من وجهه فاقتصّ من كبدي ... لحظاً بلحظٍ وهذا شأنُ من سرقا
وعاهدَ الطرفَ سرّاقاً فحاذرَهُ ... فظلّ ينظرُ في أعطافهِ قرَقا
مهفهفُ القدّ لدنُ العطف منتدلٌ ... كالغصن قد حمّل الديباج لا الورقا
خصرٌ تصوّب من نهدٍ الى كفلٍ ... من قال بينهما وادي النقا صدقا
خطّت يدُ الحسن في مصقول جبهتهِ ... سطرًا ملخّصهُ سبحان من خلقا
وقال خطّ عذاريّه أجذروا فانا ... قد خطّني سحرُ تينِ المقلتينِ رُقى
لم انس يوم المصلى وهوَ مقتدرًا ... قد سرّ بي حيث لات الحين حين لقا
بكيتُ فازورّ محمرًّا ولا عجبٌ ... فهكذا البدر فوق البحر منطلقا
دعوتهُ بلسان لو دعوتُ بهِ ... بعض الحجارة من اذلالهِ شفقا
قال عجبًا-وقال أصبر ، فقلتُ نعمْ ... عدّ لي بقلبي قلبٌ به التحقا
وكيف اصبرُ عمّن لو عرضتُ بهِ ... يومًا على الصبر قال الصبرُ واقلقا
نرجو الليالي والايامُ تمدنا ... صبرًا وانت جمتَ الصبح والغسقا
حقٌّ عليك دلالٌ انت طارقهُ ... والوجدُ حقٌّ على قلبي الذي طرقا
لو نال حسنك بدرُ الافق دلّ ولو ... رآكَ رضوانُ من فردوسه عشقا
قيل العفاف ولو نفسي نطاوعني ... على فؤادٍ عفيفٍ قطّ ما علقا
اني حضرتُ وما عيني بلا بصرٍ ... ولا فؤادي جمادًا يثلبُ الحدقا
قد كنتُ ابكي دموعًا من صدودك لي ... حتى نأيت فصارت ادمعي علقا
وليس وجهك الا الشمس قد أفلتْ ... عن مقلتيَّ فأبقتْ فيهما شفقا

« وقال »[1] :

لمن طللٌ بذي سلمٍ محيلُ ... عفت آثارهُ الريحُ النبولُ

---

١) المخطوط ص ٤٥٥

وقفتُ وناقتي في جانبيه ... غداةَ البين فاجتمع طلولُ
أُساءلهُ وليس لهُ لسانٌ ... فيخبرني وأفهمُ ما يقولُ
اذا اعترك الحوادث ذو فؤادٍ ... فأخفى ما يلوح لهُ دليلُ
بكت عيني وقد أنستْ ولذّتْ ... به فدموعها عبثًا تسيلُ
ومن عشق العيون يلذُّ منها ... بآثارٍ اذا امتنع الوصولُ

٥

ألا يا في ذمام الله ركبٌ ... لهم ولمهجتي كان الرحيلُ
فتلك رفيقهم يرعى ولكن ... أضاعوها وفاتهمُ الجميلُ
وبين الركب ناعمةٌ فتاةٌ ... تؤرقها القراطقُ والحجولُ
يظلُّ الردفُ يُقعد مطيتيها ... فذلك عندها السببُ الثقيلُ
ألوفٌ طالما ألفتْ فبرّت ... وذلك في الكواعب مستحيلُ
اذا ذكرت معاهدها استهامت ... فحنّت مثلما حنَّ الفصيلُ
لقد حملتْ جبالًا من دمانا ... فواعجبًا تُساقُ بها الحمولُ
وكيف استودعت حرّان قلبي ... ولم تُحرق به فهيَ الخليلُ
اقولُ لحصرها لما تثنّى ... أتمشيها فما هذا النحولُ
فقال لقد عشقتُ نعم ولكن ... عذابًا بين عشّاقي يطولُ
فرحتُ وقد علمتُ بان فردًا ... عليه جماعةٌ لهوَ القتيلُ
وقلتُ لنفسيَ اصطبري فخصمي ... جميلٌ حقُّهُ الصبرُ الجميلُ

٥

ألا حمل في سبيل الله طيفٌ ... فليس اليكِ يا سلمى وصولُ
ومن طلب الكثيرَ فلم يجده ... تمنى ان يكون لهُ القليلُ
هنيئًا للمُذيبِ وانت فيه ... فقد صار المُذيبُ كما يخيلُ
وطوبى للنسيم وانت منهُ ... بمتنٍ فكيف هو العليلُ
ترى هل يمكنُ لنا رسولًا ... اليكِ فيبلغ الحيَّ الرسولُ
وما بيني الرسول ودون سلمى ... جبالٌ تشتكي منها السهولُ
بزعمي ان ثوب الرسلُ عنّا ... وعن خلواتنا زيدٌ يقولُ
ولكن اذ دعونا ذاك حالًا ... علينا ان يكون لهُ حؤولُ

«ثمَّ وقال من ابيات»[1] :

يا تُرى ما الذي لقلبيَ شاقا ... والذي نبَّه الهوى فاستفاقا

١) المخطوط ص ٤٥٦

كان لا يعرفُ الهوى ابن قلبي ... مَن تُرى دلَّهُ عليهِ وساقَ
ظلمتني عيناكَ وقفَ او عينا ... يَ أ راحتني الأحداقا
فانا في الهوى حديدٌ ولكني م محول الهوى سبقتُ المذاقا
كان لي قبلما عرفتُكِ قلبٌ ... فكتنا على يديكِ الطلاقا
تعلمين الطلاق وما ندرين م ماذا الذي جعلنا الصداقا
لا ارى بين حانيَّ فسيحاً ... واراكِ اتخذتِ صدري رواقا

انا في الحبِّ قاصرٌ لستُ ادري ... قبلكِ العشقَ لا ولا العشّاقا
علّمتني الهوى عيونك والبُعدُ م لقلبي يُعلّمُ الأشواقا
علّميني ماذا اقولُ اذا نحنُ م افترقنا وكيف اشكو الفراقا
وأصحبيني ولو ببعض كلامٍ ... منكِ زاداً يُذكرُ الميثاقا
وأعذريني اذا رأيت دموعي ... فوق خدّي يبتدرنَ سباقا
ليس من شيمتي البكاء ولكنَّ م الليالي تُغيرُ الأخلاقا
نلتُ ما لا يُنال من فرط حُبيكِ م ولاقيتُ منهُ ما لا يُلاقى
لو تعمّدتُ ان أُحبَّكِ ايضاً ... فوق هذا عجزت أن أتراقى
كان لي من أحبّهُ فاذا بي ... كنت في حُبِّ كلّهم مذّاقا
لم يدع رفقةٌ هواكِ ولا اعجبُ م منهُ فقد اهنت الرفاقا
لا ارى من يُحبُّ غيرك لا ذاتاً م ولا خلقةً ولا اخلاقا

قامةٌ تفتحُ الغصونَ وعينٌ ... مَن رآها يُبيحُ الخلاقا
يضحكُ الكحلُ بين أعداها السو ... دِ على نفسهِ فيجري اندلاقا
وحديثٌ لو كان خمراً تناطا ... ها ندامى اللاتِ قبلاً أفاقا
وجمالٌ لو نالهُ قمرُ الافقِ م لما نال في السُرار[1] لحاقا

اغتباكَ غيبةً وحضوراً ... ويذوبُ الحشى اليكَ اشتياقا
يجذبُ الشوقُ بي اليكَ ويُثني م عنكَ الحياءُ طاقاً فطاقا
لا أُريدُ الحنى ولكني اكذبُ م ان قلتُ لا اريدُ العناقا
لستُ ادري وربّما سوف ادري ... كيف هذا الهوى أتاني استراقا
علقتني صبابةً علقتكَ الامس م واليومَ والغداةَ اعتلاقا
ليس خيرٌ فيها ولا بدَّ منها ... والهوى يأخذُ الفتى استرقاقا

1) السُرار : آخر ليلة من الشهر (حاشية في الاصل) .

سرقت عينك الرقاد ونامت م سامح الله طرفك السراقا

لبست ثوب راهب واستباحت دمنا فانظري الدما والنفاقا
لا تبالي لملمها بسواد الوجه م اذ قد تعودته خلاقا
ليس بدعٌ في ظلمها وهي الظلماء م والوصفُ قد يجيء اشتقاقا
غير اني استغفرُ الله لا تخلو م جفوني من الكرى اطلاقا
إنَّ فيها فلانةً وهي قد نا متُ بها ملءَ جسمها استغراقا
لا أُسمّيك غيرةً يا ابنة الكرام م وخوفًا من وبيةٍ ان تُلاقا
صرتُ من فرط ما أهابك هيًّا با وقلبي تعوَّد الاخفاقا

« وقال (الشيخ ناصيف اليازجي) في القس انطون الحلبي[1] »

جهدُ الليالي ان أكون كما ترى قدمًا مفسّرةً وربعًا أقفرا
ولعلَّها نظرتْ اليَّ فأبصرت رجلًا يعافُ طباعها متكبّرا
مارستُها فعرفتُ بعض صفاتها وعرفتُ من نظر الاقلّ الاكثرا
وعرفتُ من ابنائها ما ساءني فررتُ حين عرفتُهُ متحذّرًا
لا اشتكي عبث الزمان لانني قدمًا شكوتُ فما حمدتُ المصدرا
وصبرتُ حتى ملَّ ضيري همَّتي مددًا وقال الصبرُ ليتك تضجرا

ولقد وقفتُ على المنازل وُقفةً والنجمُ يوشكُ ان يميلَ الى الكرى
قالت سهرت ولو رددتُ جوابها لكتبتُ فيها من دموعي أسطرا
فلاشكرنّك يا ديارُ الى الفلا ولاشكوتّك يا ظلامُ الى السُرى
ولأحسنَنَّ على القوافي معرضًا حتى اودّع شيخهنَّ الاكبرا
انا شاعرٌ في الجاهليّة نفسهُ عند التقريض وان يكن متأخّرا
قد كنتُ اطمعُ أن أبلَّ جوانحي لمّا رأيتُ الشمر يُقسمُ أبحرا
وطمعتُ ان تجني يدي من بحره درًّا فوافاه العظيم ولا الدرا[2]
هيهات ما عمرتْ لديك يمونهُ ورجوتُ بيتك بعدها ان يُعمرا
قد كان راعي النوق ينشدُ نوقهُ شعرًا فصاروا ينشدون المنذرا
يا صاحبيّ تقصّيا نظريكما واذا بدا وجهٌ لعذري فاعذرا
لا تحسباني قلتُ ما قد قلتهُ ملَلًا ولكن خفتُ أنْ تتقطّرا

---

١) المخطوط ص ٤٦٣
٢) الدُرا : هي الدُرر والالف للاطلاق ، ويسمّى عند البديعيين اكتفاء .

يا ليتَ شعري هل اقولُ قصيدةً ... لا تنفدُ الشكوى عليها خنصرا
تيمُ الزمانِ كما صحبتكما اذا ... فان السلامُ عليكما فتحذَّرا
والمرء في الدنيا بثروتهِ ولا ... عجبٌ فان الناس أبناء الثرى
أخطا بنسته التراث وربّما ... أغنى ولكن لو أصاب لأفقرا

ولقد صحبتُ من الافاضل سيّدًا ... كالمِسكِ ماء والصفيحةِ جوهرا
ساءلتُ عن اخباره فسمتُها ... متعجبًا حتى رأيتُ المخبرا
صدقتْ به عيني لديَّ وطالما ... قد كنتُ قبلًا لا أُصدّقُ منظرا
وسمتُها حتى سمعتُ حديثهُ ... فرأيتُ كلَّ الصيدِ في جوف الفرا[1]
يا ألطف النسمات روحًا لا ترد ... طربًا عليَّ من الحديث فأسكرا
وأعدْ حديثك حين تسكنُ طربتي ... اني لأستحلي الشراب مكرَّرا
واحذرْ فؤادي ان تُميلك نارهُ ... فلقد حللتَ به حلولًا مضمرا
لو لم يكن في القلب نارٌ لم تكن ... يا جنّتي في صفحتيهِ مصوَّرا
قالوا هويتَ وكنتَ تعتزلُ الهوى ... فأجبتُهم لا تسألوا عمَّا جرى
ان المقدَّر كائنٌ لا يُتّقى ... ولسكَ الامانُ من الذي قد قدّرا
اني رأيتُ من الشمائل مرّةً ... ما لو يمرُّ على الجماد لكبَّرا
وشربتُ منها شربًا لو ذاقهُ ... جبلُ الكُرُنتِم لبات يحلول السُرى
وأنستُ أفضل هيكل في طيه ... ذاتٌ ارقُّ من النسيم اذا سرى
خضريّةٌ شاميّةٌ حلبيّةٌ ... لو شامها ماء السماء تخضَّرا[2]
نفسٌ تُوقّد غيرةً في جسمها ... رغمًا لقومٍ يوقدون المنبرا
أنسيّةٌ قدسيّةٌ ملكيّةٌ ... فلكيّةٌ في الارض ما بين الورى
لا تعرفُ الحضراء[3] بين صفاتها ... وتُميدُ مثل قضيب موسى اخضرا
تذكو أشعّتُها ويصفو ثوجها ... فتكاد تحت حجابها ان تظهرا
إياك اعني لا سواك بمنطقي ... ولربَّ مذكورٍ ولو لم يُذكرا

ولقد سهرتُ على مديحك ليلةً ... ما كان أطولها عليَّ وأقصرا
أعربتُ بالتمييز حالك ظاهرًا ... وعرفتُ فعلك اذ عرفتُ المصدرا

---

١) حمار الوحش (في الاصل) .
٢) ماء السماء : اسم ملوك العرب (في الاصل) .
٣) اي لا يقال نفسٌ خضراء . وهي صفة يُراد بها (هنا كلمتان أُلفقتا بمقراض التجليد) (حاشية في الاصل) .

فوصلتُ من قبل الوصول الى الحمى ... فرداً يجرُ من الفواني عسكرا
لا اشتكي حصر المقال وانني ... ما زلتُ أجرى من لبيدَ وأشعرا
حكمتُ في شعر الاوائل راحتي ... فاذا عجزتُ دعوتهُ مستحضرا
لا تنكروا اني سرقتُ قوافياً ... من شعرهم فركبتُ امراً مُنكرا
قد قلَّ ما عندي الى ان قلَّ في ... صدري الكلامُ فما سرقتُ تجبُّرا
ولربَّ نظَّارٍ بعقلة عاتبٍ ... كترَ العتاب ولثمهُ لو أجمرا
قد زادني حلماً فأنقصني به ... كالاسم لمَّا زيدَ حرفاً صُغِّرا
ولئن تعثَّر من يُظنُّ به فقد ... يكبو الجوادُ ولو يكونُ الأبجرا
ولربما عثر المُصيبُ وربما ... لم يدرِ كيف يُصيبُ حتى يعثرا
بأبي وبي، يا من تخذتك لي أبا ... فرأيتُ منك البرَّ منهُ وأغبرا
أوتيتَ من فصل الخطاب لطافةً ... لا ترتضي لك غيرَ قلبي منبرا
اني رأيتُكَ في سوادِ ملابسٍ ... متهلِّلاً فرأيتُ ليلاً مقمرا
وعلمتُ وجهك جامعاً شمل البها ... لمَّا تصفَّحتُ الجبين الأزهرا
وعرفتُ نعمتك التي غلبت على ... شكري وكيف الرمحُ ينكرُ سمهرا[1]
فلاشكرنك ما حييتُ وان أمُت ... فلتشكرنك أعظمي تحت الثرى[2]

« وقال (الشيخ ناصيف اليازجي) يمدح الامير بشير الشهابي عند رجوعه من القاهرة سنة ٢٣٩ »[3] :

قامت وفي يدها يلوحُ إناءُ ... وزَنَتْ فكادت تكسرُ الصهباءُ
عذراءُ لو ندبت على نظراتها ... صخراً لقام ومات الحصباءُ
شربت يمينُ الكأس بسمها فلم ... تدرِ الذي شرب الطلا الندماءُ
حتى تبسَّم فادَّعتْ بجباجها الكاساتُ لمَّا لاحت اللألاءُ
بدويَّة هي في الحجاز فانما ... تأبى الخطابَ كأنَّها عجماءُ
ولعلَّها عذرت بتيه دلالها ... ان الدلال على الجمال وقاءُ
يا للعجائب وهي ظبيةُ ربرب ... ترمي السهامَ فلا يكون خطاءُ

---

١) سمهر : رجلٌ كان يقوّم الرماح (في الاصل) .

٢) وتلي هذه القصيدة ، قصيدةٌ أخرى قالها الشيخ ناصيف في القس انطون الحلبي المذكور ، وهي منشورة في ديوانه « النبذة الاولى » ص ٨ طبعة مخائيل رحمه ، وابياتها في المخطوط اكثر عدداً من المطبوع .

٣) المخطوط ص ٤١٠ .

لا بدعَ ان عبقت لنا أنفاسها ... بالمسك فهو به تجيُّ طيبا
باديتُ معطفها يرجرجهُ الهوى ... ريًّا فقد أيقنتُ انك ماء
ثمَّ التفتُ بوجهها[1] فنفرتُ من ... جزعٍ وقلتُ وراءكِ الرقباء
ولها لحاظٌ لا تخال بطرفها ... سحرٌ فقد دُهيت بها السحراء
قالت أما بك وهي قد سلبت بها ... عقلي فقلتُ المرءُ السودا
هان الحمامُ عليَّ ان رضيتْ به ... يا حبذا لو ترتضيهِ فنا
وكرهتُ بذل النفس خوف فراقها ... قبلًا يكونُ من «البشير» لقا
ملكٌ من الافراد طلعة وجهه ... عند البصائر هيبةٌ وجلا
متوشحُ الديباج تحت رقيقه ... ما يطرقُ الديباج منهُ حيا
تلقاهُ مبتسماً وفيهِ عبوسةٌ ... وتراهُ غضبانًا وفيهِ رضا
ريَّان معتدل الطباع كأنه ... فصلُ الربيع تجوده الأنوا
تَثرَ الدراهمَ عند وقدِ عطائهِ ... بيضًا تُفرّقها يدٌ بيضا
كالبدر في كبدِ السماء وحولهُ ... تحت الرقيع كواكبٌ غرّا
كفٌّ تسيلُ على العفاةِ مواهبًا ... وسيلُها تحت العجاج دما
وَصَلَ الحسامَ بها فأرعدَ نصلهُ ... وعليها منها رونقٌ ومضا
من فوق ادهمَ قال من في وجهِهِ ... نظر الثريَّا انه الظلما
لو قام يوم البعث صوتُ صهيله ... ما شك ان الصور منهُ صدا

٥

يا خير من لبس الشفوفَ وخير من ... لاحت عليه عمامةٌ خضرا
ألبستَ لبنان الضياء كأنما ... جبريل فوق الطور منهُ ندا
وعلى الكنانة من نداك نضارةٌ ... فكأنها فوق الرؤوس لوا
لو كان يدري «النيلُ» انك قادمٌ ... مصرًا ثناهُ عن المفيض حيا
لا بدع ان ذابت لفرقتك الحصى ... منها واوشك ان يجفَّ الما
فلقد تركت بها عوارفَ أنعمٍ ... ذكر الخصيب بعرفها النبا[2]
وأثبتَ ترفلُ في ظلال مؤيّدٍ ... رفلت بظلّ جلالهِ الوزرا
فردٌ من الاقيال أمَّا مالهُ ... فندىً وأمَّا جارهُ فحما
عزت به جنبات مصر وكيف لا ... وهو العزيز محلُّهُ العليا

---

١) نظر وجههُ كما يكون في المرآة (حاشية في الاصل).
٢) الخصيب: اسم ملك. والكنانة لقب مصر. والنُّبا: الذين يحصون اسماء الناس. (في الاصل).

ما ضرها ان فاتها مطر السما ... فلها يجود بديه عند عناء
هو سيدٌ يمي وقاهرة الورى ... في كفه تنقاد كيف يشاء
يتمايل الوزراء تحت لوائه ... طوعاً وتحت لوائك الأمراء
ما كان عهد البدر قبلك طالعاً ... من مغربٍ قد تمّ منه ضياء
حتى أتيت بطلعةٍ رقصت لها ... لو لم تخف ازعاجك الدنياء
وعلى ربى لبنان حين أتيتها ... ما بالسقيم يُذاد عنه الداء
لو تستطيع وقد قصدت ربوعها ... لاقتك لو طاع الربوع لقاء
ولقد نسخت بحق بأسك أرسماً ... هامت بقيه ضلالها الآراء
وهديت اهليها الصراط فانما ... انت الرسول ، وان يروك رعاء
انت الشهاب بنور وجهك تنجلي ... حُجُب الظلام وتُرجم الاعداء
ولأنت طلّاع الثنايا عندما ... بدرت لديك ملمّةٌ صمّاء
لو كان نطقك في الشقاء مقسّماً ... في الناس لم تتفاضل الخطباء
ولو اقتسمت صواب رأيك بينهم ... لم تدر نفسٌ ما يكون خطاء
تكفي الورى حكماً اذا طلبوا وما ... لصفات خلقك بينهم أكفاء
بهل الخطاب جا فلو نطقت به ... الافرنج ما عمرت عليها الراء
لا بدع ان خلت الكرام فلم تدع ... أكرومةً تأتي جا الكرماء
ألّفت شمل البر بعد شتاته ... كالبحر يجتمعاً اليه الماء

٥

انا غرسُ نعمتك التي عوّدتني ... فنموت حيث الطيّبات رواء
وعززتُ عند تعقلي بك في الورى ... كالسلك ترفع شأنه اللآلاء
وجهت لسنادي اليك مصرّحاً ... فكأنما الأفعال والأسماء
وأضاف ذكرك قرّ نطقي واصلاً ... سنداً فأثبتَ رفعهُ القرّاء
وعلى ودادك لي فؤادٌ لم يزل ... لذخائر الأسرار وهو إناء
خجلٌ برأيي وهو يعلو فوقهُ ... وتهاب مسّ صفاقه الأعضاء
قسماً بمناك الرقيق وصبوتي ... فها الصباحُ وان أرثّ مساء
ما خضتُ في ذكراك إلّا قلتُ قد ... طفحت بلجّة منطقي البيداء
تتزاحمُ الكلمات عندي مثلما ... ورد الزلال طلائحٌ انضاء
فكأنّني الكندسُ فيك وليس لي ... عند اذكارك وقفةٌ وبُكاء
هل تبلغنّ عني الحجاز بأنني ... بك شاعرٌ فتزورني الشعراء
معناك علّمني القريض فها انا ... بعد التشاعر شاعرٌ روّاء

صفلت مناقبهم غرار قريحتي فاذا بها من ذي الفقار مضاء
وجلا جمالك روئيتي فكأنما كانت لعيني تنظر الزرقاء[1]
يحلو بمدحك نظمُ شعري مبدعاً وبديع شعري من ثناك سناء
فاذا خلا من ذكركم فكأنهُ حرفُ الشفاهِ بقولهِ الفأفاء[2]
فلأجلكم اليك كلُّ قصيدةٍ هيهات من اياتها الاقواء[3]
تأبى قوافيها السناد وانما لا بدع ان يضطرها الإيطاء
فاسلم ودُم تُحدى الثناء ويُثنى وعليه من اهل الثناء ثناء
حتى يقول الدهرُ وهي محالةٌ يكفي فمندي بعدك الملفاء

« وله (للشيخ ناصيف اليازجي) في الامير فارس الشهابي[4] »

قفْ بين ريحان العقيق وخالهِ وقل السلامُ على العقيق وآلهِ[5]
وقل السلامُ على الشجيرة من فتىً لولا الثياب يتستُ لمح خيالهِ
لي بينهم رشأٌ أغنُّ مهفهفٌ ابدًا يفوحُ الطيبُ من اذيالهِ
رشأٌ يلوح الصبح من طربوشهِ ويميلُ غصنُ البان من سروالهِ
خشيَ الكمال على شمائله وقد عذبت فعوَّذها[6] بِرَّ دلالهِ
فغدا يامن الصخرُ قبل فؤادهِ وينال بدرَ الافق قبل منالهِ
نزل العقيق فكان بعض ظبائه وله فؤادٌ كان بعض جبالهِ
ذابت خمائله لميلةِ عطفهِ فمذرتُ قلبي قبلهِ من بلبالهِ
وبشعبِ ذي سلمٍ غزال انما شتَّان بين غزالها وغزالهِ
ما زال مذ صعد الثنيَّة مقمرًا[7] لمَّا تصفَّحه على اقبالهِ
يا عاذلي ما انت بعد لقائهِ إلَّا على صفة الجماد وحالهِ

---

١) امرأة كانت حادّة النظر (في الاصل).
٢) الذي يردّد حرف الفاء (في الاصل).
٣) الاقواء في اللغة: التقوّض. وعند العروضيين: اختلاف حركة الروي (في الاصل).
٤) المخطوط ص ٤١٧.
٥) ان الشيخ قد صدّر بهذا البيت قصيدته الى بعض اصحابه العلماء (راجع النبذه الاولى من ديوانهِ، طبعة ميخائيل رحمه، ص ٤٦).
٦) عوَّذها: علّق عليها عوذةً، وهي كالتميمة يُتّقى بها السحر والعين (حاشية في الاصل).
٧) قيل: ان الغزال اذا نظر القمر، نشط (في الاصل).

ولعلَّ رشدك غاب عند حضوره ... فنطقتَ نطق الأحمقِ المتبالهِ
او كان لومك غيرةً مني على ... شغفي بهِ وتملُّقي بوصالهِ
او شمت اقبالَ الامير بوجههِ ... حتى استهنتَ بمنتهِ وجمالهِ
الفارسُ ابن السيّد الحسنُ ابن سيّد ... نا العلي لبني الرسول وآلهِ
الهاشميُّ من العشائر سادة العرب ... م الكرامِ لعمّهِ او خالهِ
رجلٌ يعبرُ الغصن لين قوامهِ ... ويعيرُ بدر التمّ حسن كمالهِ
يُلهي الوفودَ عن التحيّةِ وجههُ ... حتى ترى الآدابَ في استقبالهِ
ربّانُ يحتسبُ العطاء تقيصةً ... ان كان لا يعطيك قبل سؤالهِ
البرُّ بين لسانهِ وفؤاده ... والبحرُ بين يمينهِ وشمالهِ
يَمرَبْ اناملهُ فلو أوما جا ... نحو الاسير لفكَّ من اغلالهِ
او كان يلثمُ بعضها فمُ اخرسٍ ... يوماً لفاض لسانهُ بمقالهِ
متبسّمٌ متهلّلٌ متهذّبٌ ... متفرّدٌ بصفاتهِ وخصالهِ
وجمالهِ وكمالهِ وجلالهِ ... وخلالهِ ومقالهِ وفعالهِ
يا قاضلًا يا باسلًا يا كاملًا ... يا واصلًا يا باذلًا من مالهِ
يا مَن يُرى من طيب فعلك حاضرٌ ... ما ليس يخطرُ قبلها في بالهِ
انت التنى انت الهنا انت المنى ... انت الجنى للبرء في آمالهِ
ما زار دارك مَن أُصيب بحادثٍ ... إلّا وبشّر نفسهُ بزوالهِ

« وقال يمدح الامير قاسم الشهابي[1] » (ابن الامير بشير الكبير)

يا بارقًا لاح في اكتاف لبنانا ... امطرتَ لكن جلتَ السحبَ اجفانا
اعاذك الله ما ابرقت من كذبٍ ... وصادقُ الشوق في الاحشاء ما خانا
ما شامَ ضوءك طرفي غير منكبٍ ... كأنَّ للدمع في كفّيك ارسانا
لسنا نراك سوى برقٍ فواعجبًا ... أبريتَ ماءً وقد هيجت نيرانا
متى ازرك دليلًا لي على سُبلي ... تركتني بحجاب الدمع حيرانا
اشكو اليك تباريحًا علمت بها ... لو كنت تسألُ عني النجم سهرانا
وما انتفاعي بان اشكو اليك ولا ... اشكو الى القاسم المفضال هجرانا
كلاكما ماطرٌ لكنَّ بينكما ... تفاوت الحال أسواءً وإحسانا
تبارك الله جسمٌ حلَّ فيه دمٌ ... نظنُّهُ السكّر المعقود قضبانا
حلو الشمائل طلق الكفّ مبتسمٌ ... في وجهه البشرُ يزهو كيفما كانا

---

١) المخطوط ص ٤١٨ .

صفا ورقّ وما رقّت عزائمهُ ... كالنصل ما رقّ يسمى وما لانا
كأنما محوهُ في عطفه لعبت ... ريحٌ ترنّح غصن البان ريّانا
لا يحسب العيش الا بذل مكرمةٍ ... او خوض ملحمةٍ او ريّ ظمآنا
تمضي الليالي وأشغالها التي عبرت ... له ولم ترحم الضيفان ضيفانا
جدّي بنا يا نياق السير لا نقفي ... فقد نحلّت شرقاً ليس ابدانا
وحقّ نعماهُ ان بلّغتني يدهُ ... أليستُ همامكِ من نعماهُ تيحانا
لا تحسبي كلّ من لاقيتِ كابن « ابي ... سمدى »[1] ولا مثل « بيت الدين » اوطانا
نعم نعم ان هذا لابنه فلقد ... جاء الشبيه به خلقاً ورضوانا
جلّ الذي خلق الحسنى وخصّ لها ... بعضاً ولو عمّ كان الخلقُ انسانا
لولا القباحة ضاع الحسن فهي لقد ... جاءت على حسن اهل الحسن برهانا
يا ابن الكرام ، وما كلُّ الكرام سوا ... فقد أصرتم كرامَ العصر غلمانا
قد عاشتني نظم الشعر أنعمكم ... حتى غدت لعروض الشعر ميزانا
لو لم يكن بك غير الجود من خُلُقٍ ... جمعت مدح الورى مرّاً واعلانا
وعلّة المدح احسانٌ فان حصلت ... كفتْ ولم يكف شيءٌ غيرها الآنا
أهديك قطعة شعرٍ من ثنائك ولو ... وفيتُ بعض الوفا أهديتُ ديوانا
ومن اراد عيانَ الشمس أبصرها ... لمحاً ولم يستطع في الشمس إمعانا

« وقال في اخيه الامير خليل[2] »

قسماً بما حوت الثغورُ من اللمسْ ... وبما حوى وردُ الخدودِ من القبسْ
وبأعين الحفرات وهي ذوابلٌ ... كالناعباتِ وما جنى أثرُ النمسْ
وبذمّة العشق العزيزة عند من ... ذاق الغرام ولم يذقهُ الملتمسْ
وبجوبة العشّاق لولا انهم ... يتهتّكون به وشيبهمُ انبجسْ
ولأصبرنّ عليه او تُبلى به ... نفسي وتُنكرُ مهجتي رَجْعَ النفسْ
ولأحملنّ خطوبهُ ولو أنها ... هجرُ الخليل وملتقاه اذا عبسْ
احدُ الكرام الفاضلين ، وانما ... في نفسهِ كلُّ المكارم قد غرسْ
يقفو الكريم فعالهُ وكأنهُ ... من بيت مال المسلمين قد اختلسْ
وضحت فضائلهُ فكنّ كصحفٍ ... درّس الفقيهُ به وراجعَ ما درَسْ
تتحدّث الافكارُ ناطقةً به ... ويعودُ باقهِ اللسانُ من الخرَسْ

---

١) لقب للامير بشير الشهابي الكبير ، قد عُرف به ، وسرّ ذكرهُ .
٢) المخطوط ص ٤٣٠ .

الأشهب البازيّ في يوم الوغى ... والكوكب الدرّيّ في جنح الدلس
والفاضل البرّ المنيف من التمس ... والكامل الحرّ البعيد عن الدنس
لا تشتكيل القيد موطنه ولا ... تلوي المدامة جانبيه على الهوس
وتراه في الخالين مطّرد[1] النهى ... كحروف ما لا يستحيل اذا انعكس
جمعت شمائله المحاسن كلّها ... وجموعهنّ من التفرّق في حرس
فكأنّه غصن الاراك اذا مشى ... وكأنّه بدر التمام اذا جلس
وكأنّه مطر السحاب اذا همى ... وكأنّه اسد العرين اذا افترس
وكأنّه وبأن يقال كأنّه ... وهم المشبّه والقياس قد التبس
لم يله عن كرم ونلهي المقتفى ... رؤياه عن أخذ النوال المقتبس
لو كان يحمل ما افاد من النهى ... في اليوم وهو على الجواد لما ركس

يا خير من لبس الشفوف وخير من ... حمل السيوف وخير من ركب الفرس
فقت العباد ولست إلّا بعضهم ... والناس بينهم شجون لم تُنفس
كالشعر ليس سوى الكلام مركّبًا ... وبه التفاوت في القريحة والنفس
من قال فضلك لا يحاشي سيدًا ... إلّا «البشير» اباك وهو قد اجترس
لا زال ربعكما الخصيب تعيضه ... ايديكما مطر السحاب اذا احتبس
حتى يقول الناظرون اليكما ... ما مات ذكر الاوّلين ولا اندرس

«وقال في اخيه الامير امين لمّا تسلّم الديوان[2]»

بشرى المعالي فقد نالت امانيها ... ففُزْ بنا غير مأمور تُهنّيها
وليس اعظم من هذا يُقال به ... لك الهناء وهذا الشهم داعيها
صدقت يا من تُسمّيه «الامين» لنا ... فهو الامين على العليا وحاميها
وهو الشهاب اذا جنّت لياليها ... ضوءًا ورمحًا اذا قامت اعاديها
تلقّف المجد إرثًا والعلى حسبًا ... وللسيوف بجمالٌ في نواحيها
لا يركب الخطب إلّا غير مكترث ... ويركب الرأي اجلالًا وتنزيها
مجيئه عن «ابي سعدى» تداولها ... قسًّا وقال خذوا الدنيا وما فيها
اقام في صدر ديوان القاض له ... وقفًا عليه فأعطي القوس باريها
ما زال ديوانه لولا مهابته ... يكاد يرقص من ادلالهِ تيها
ويوشك الشعر في معناه لو فُقدت ... ابياته منشدًا رنّت قوافيها

---

١) مطّرد: مستقيم (في الاصل).
٢) المخطوط ص ٤٣١.

كذا وإلّا فلا ان الهوى حَرَمٌ والله يعلمُ حقًّا من يُدانيها
توغّل القومُ في الدعوى بما فاتق بعضٌ بذاتٍ وبعضٌ جاء تشبيها[1]

« وقال يمدح مصطفى آغا برير » (متسلّم طرابلس)[2]

خطرت كما خطر القضيبُ الأملدُ غيداءُ معطفها يقومُ ويقعدُ
معسولةٌ نضع البنان بخصرها فيكادُ بضٌ فوق بضٍ يُفقدُ
هي بنت ظبي الوادي ولكن لي بها لمحٌ من الفردوس قامت تشهد
ما ضرّها وهي المراضُ جفوتها لو انها يا صاحبيَّ العوّدُ
لفيتْ بطلعتها الهلال فأعلمت انَّ الأهلّةَ طالما تتولّدُ
وتأوّدت بين الرماح فلم يبنْ لولا السنانُ ، الاسمرُ ، المتأوّدُ
ورخت غدائرها تمالت خصرها كأراقم الوادي انثنت تتجمّدُ
والله ما مدّت سلاسل شعرها إلّا لتسبي القلب وهو مقيّدُ
فتنتْ مقاصيرَ الخيام بقامةٍ كالغصن في سرّ الصبا يتردّدُ
وبمقلةٍ نادت على عشّاقها لا تقربوا فأنا البلاءُ الأسودُ
ما بين وجنتها ودمعي نسبةٌ فكلاهما من حمرةٍ يتورّدُ
وكأنَّ ليلي شعرها فكلاهما متطاولُ الاطراف اسودُ اجعدُ
تذكي لواحظها ويخمدُ شرها فكأنّهُ في الكافرين موحّدُ
لا بدع في سلسال ريقكِ ان روى فهو المبرّدُ[3] والزلال مُبرّدُ
قسماً بثغرك يا أميمةُ درّهُ لي ادمعٌ منّ الجمانُ[4] يُنضّدُ[5]
درٌّ نُقضُ ذوائباً قاطُها اهدابُ جفني والصبابةُ منقدُ
ما كنتِ سيدة الملاح من الدُمى[6] إلّا وعبدُكِ في الشيرةِ سيّدُ
حسبي بحبّك عزّةً وبأنني بالرقّ عند عزيز حسنكِ اشهدُ

---

١) وتلي هذه القصيدة ، قصيدةٌ أخرى في مدح الامير امين ، تراها مطبوعة في الثبذة الاولى من ديوانه ص ٥ طبعة ميخائيل رحمه ومطلعها :

فارقكم ونضرب في البلاد فلا نترحلون عن الفؤاد

٢) نشر في خلال ترجمة الشيخ ناصيف في بدء ديوانه ، طبعة رحمه ، مقطعان من هذه القصيدة صفحة (ن) ، واننا ننشرها بكاملها كما هي مسطّرة في مخطوط دير الشير ص ٤٢٣.

٣) المبرّد : اسم رجل راوية (في الاصل) .

٤) الجمان : اللؤلؤ (في الاصل) .

٥) ونضّده : جمع بعضه فوق بعض (في الاصل) .

٦) الدُمى : الصُوَر (في الاصل) .

ولديَّ منك مواعدٌ ما تنقضي ... فاليوم يُشفيني ويُسعدني غدُ
ما انتِ كاذبةٌ جُلتِ أنَّما ... سوء النصيب يقودُ ما لا يفصدُ
ولقد اسفتُ على الصدود لأنَّها ... كانت وانت قريبةٌ تُستطردُ[1]
وشكرتُ حسنَ المطل منكِ لأنَّهُ ... قد كان يومَ يكونُ منك الموعدُ
ولقد تداولنا الدوادل ليلةً ... حلفت بالآ غاب منها الفرقدُ
لاموا وقلبي من أحبَّ وعندكم ... قلبي فكيف خطابُ من لا يوجدُ
ولقد صبوتُ فقال انَّك أشيبٌ ... رأسي وقال القلبُ انَّك امردُ
والنفسُ ناصحةٌ ولكن عندها ... رفقٌ اذا اعتذر الفتى لا يُحمدُ
ولهوتُ عن ادبي القديم وكيف لا ... وصبابتي في طيِّهِ تتجدَّدُ
ونسيتُ نظم الشعر لولا شيمةٌ ... في « المصطفى » تدعو الخصور فينشدُ
في اوحد الفضلاء والفقهاء والكرماء ... والبلغاء لا يتقيَّدُ
كالبدر او كالفجر او كالقطر او ... كالبحرِ او كالدهرِ اذ يتشدَّدُ
ربَّان تفتخرُ المكارمُ عنده ... كبرًا ويصغرُ في يديهِ المَجدُ
يتوهَّمُ الاقلال في صون اللُّهى ... ويظنُّ جمع المال وهو يبدِّدُ
وكأنَّما ظنَّ الهبات ودائعًا ... عند القوافل والودائعُ عُوَّدُ
سمحُ الانامل في العطاء فكانَّما ... قلَّت خزائنُه تراهُ يُجوِّدُ
لا شيءَ اهونُ عنده من مالهِ ... إلَّا المنيَّة في الوغى تتوردُ
متقلِّدٌ بيض النصال وانَّما ... بيضُ النصال بكفِّهِ تتقلَّدُ
يا من يقول لسيفهِ يوم الوغى ... هاك القلوب فقد شكتك الأكبُدُ
لو شئت إكحالَ العيون بجدِّهِ ... ضربًا لمرَّ كما يمرُّ المردُ
يا من ينال اذا تكاثر وفدُهُ ... طرب السوى بالمال لمَّا يحشدُ
ما سرَّ وفدك ما بذلت اشدَّ ما ... سرَّتك حين انت تفرقهُ اليدُ
صدق المخبِّرُ عن صفاتك قومهُ ... حتى اطال فقال انك أوحدُ
ذكر الحديث الى جلالك مُسندًا ... فانصاع وهو الى حديثك مُسنِدُ
وعلى طرابلس الشآم صبابةٌ ... مذ غبتَ عنها فهيَ صبٌّ مفقدُ
لو أنصفتك وقد رحلتَ ربوعها ... هرعت على آثار ركبك تنشدُ[2]
ما كنت إلَّا رحمةً في ارضها ... بُعدتْ ولكن فضلها لا يبعدُ
أخصبتها جودًا فكانت جنَّةً ... لو كان ساكنها جا يتخلَّدُ

---

١) تستطرد : تتتابع (في الاصل) .
٢) اسرعت تطلب (في الاصل) .

ما كان احسن برهةً خدمتْ بها ... كفاكَ حقَّ الله وهو مؤيدُ
شهدت لك الاحكامُ انك رشدها ... والله يشهدُ انها لك أعبدُ
فله درُّك ما أجلَّك سيدًا ... واسدَّ رأيك والطريقُ مسدَّدُ
واشدَّ بأسك في المطوب فكلُّها ... صعبت رأيت كأنها تتشهَّدُ
تغدو اليك الحادثاتُ فتثني ... شيبًا ولكن وجهها بك اسودُ
لولا تآلفها أضلَّت بعضها ... مثل النياق أضلَّهنَّ الفدفدُ[1]

انا اشعرُ الشعراء فيك ولا تقلْ ... هذا الغلامُ بهلهلٍ يتشدَّدُ
لو لم أكن في الشعر أكبر غائصٍ ... ما خضتُ بحر ثنائك وهو المزبدُ
والشعرُ ريحانُ النفوس واغا ... ويحانُ روضتهِ الصحيحُ الجيِّدُ
لولا نباهةُ ما بذلوا على ... افرادهِ الآلافَ تبرًا يُنقدُ[2]
ولقد نظمتُ فانني متقدمٌ ... حتى كتبتُ فاتني لو ولَّدُ
وحمدتُ نفسي بامتداحك معجبًا ... ان المجوم على العظائم يُحمدُ
فترفقتها من آل عيسى غادةً ... الفى عليها المعربات بحدَّدُ
انشأتُها فوجدتُ شعري بعدها ... فضلاتِ تطلقِ في النهى تتولَّدُ
واذا نظرتُ الى الخلائقِ فالورى ... رجلٌ وكلُّ الشعر بنتٌ مفردُ
مَن كان مثلك لا تطالبُ امَّهُ ... لو انَّها حوَّاء في مَن يولدُ
فيك الصيانةُ والزهادةُ والتقى ... واللطفُ والكرمُ الذي لا يُجحدُ
والحلمُ ثمَّ العلمُ ثمَّ الحزمُ ثمَّ ... العزمُ ثمَّ الفهمُ ثمَّ السؤددُ
يا فضلُ بل يا عدلُ بل يا وبلُ بل ... يا نصلُ بل يا شبلُ بل يا سيِّدُ
لم تجتمع فيك المحاسنُ أغا ... انت المحاسنُ وهي فيك تُعدَّدُ
ما شتُّ قبلك من يُبارُ لمالهِ الباقي ... من المال الذي يتبدَّدُ
وكأنَّ مهجتهُ تُنارُ لنفسها ... من انفس القتلى التي تتجرَّدُ
يرضيك دون الريِّ واعجبًا ولا ... ترضى الفرات لسائلٍ يتورَّدُ
وكأن نفسك في الكريهة غيرها ... في السلم وهي لطيفةٌ تتودَّدُ
لو أخمد الحزنَ التأسي ما بكى ... ممن قتلتَ ' ابٌ على أبنٍ يُفقَدُ
او كان يُحيي الجود نفسًا لم يمت ... من كان في ميمون عصرك يوجدُ
حيَّ المطايا فهي أولى من بني ... عمِّي بمنَّتها عليَّ وأعودُ

---

١) الفلاة (في الاصل) .
٢) محدث (في الاصل) .

وعجبتُ منها وهي قد وردت ثا ... بدر التمام على طريق نوردُ
يتلو عليك الحمد في سلوانهِ ... من قال بسم الله ثمّ يردّدُ
ما اكثر الجهلاء لكن شرّهم ... من كان عن ابواب فضلك يُشردُ

« وقال (الشيخ ناصيف اليازجي) يمتدح الامير امين الشهابي »
« عند رجوعه من مصر القاهرة »[1]

حسبي بحبكِ يا مليحةُ عاري ... اني النتيلُ وليس يُطلب ثاري
وأشدُّ عارًا ان قُتلتُ ولم يكن ... قتلي بخطّارٍ ولا بتّارِ
وأشدُّ منهُ صحبتي وبفائلي ... مرضٌ قذلّاني وكان الضاري
وأشدُّ منهُ انّ نفسي حرّةٌ ... وغريمها أمةٌ[2] من الكفّارِ
عينٌ حواليها الشعورُ ذوائبٌ ... قالت لقلبي مُتْ قتيلَ أُوارِ
وعلى مَ تدركها الزيارة وهي قد ... حُميت بحاجبها عن الزوّارِ
يا من اخذتِ من الفتى حواجبًا ... هاتِ ائذن لي حِسًّا من الاوتارِ
وأبيكِ ما جامت وأنتِ نوحها ... إلّا لمؤكّدةٍ وجوب عثاري
أتسوغ عندكِ يا سلامةُ قتلتي ... واليكِ تُرود طاعتي وقراري
ما انتِ إلّا من كرام أعاربٍ ... والمذهبُ العربيُّ حفظُ الجارِ
بيني وبينكِ خطوةٌ وكأنّما ... بيني وبينكِ شقّةُ الاستارِ
واذا دنوتُ الدار لم يكُ نافعًا ... فالبُعدُ خيرٌ لي من دنوّ الدارِ
لولا سروركِ بالرياض لأصبحتْ ... بسموم انفاسي من الآثارِ
كرت المدود مدامعي بمياهها ... فكأنّما هي مارجٌ من نارِ

ج

يا للمجانب من دلالِ غزالةٍ ... صادت بنظرها الاسود ضواريا
وقفٌ على لحظاتها سفكُ الدما ... فكأنّهنّ سهام قوس الباري
حوراء يخفي الكحل أسود حدها ... وبياضُ ناحلُ خصرها بازارِ[3]
ما بين مقلتها وقلبي نسبةٌ ... فكلاهما المكسور في الجبّارِ
لمّا تجلّت نون حاجبها على ... صادٍ بمقلتها ولامِ عذارِ
راودتها عهدًا بكسرةِ طرفها ... فرنتْ اليَّ سكينةَ الابصارِ
بانت بفضّةِ جيدها فأريتُها ... لي وجنةً صفراءَ كالدينارِ

١) المخطوط ص ٤٤٦ .
٢) يريد بهذه الأمة عينها (حاشية في الاصل) .
٣) عبارة عن رقّة الخصر . اي انهُ لولا الازار لم يكن يظهر (في الاصل) .

وزهت بلؤلؤ ثغرها فلقيتُها ... بدامعي مثل الشقيق جوارِ
يختار من ثمها صغائرُ درّهِ ... عجباً ومن دمعي اختيارُ كبارِ
وكأنّ كُمّتها وغرة خدّها ... زهر الربيع يلوحُ في آذارِ
سفرت وقد ضحكت فرقرق دمعها ... وتكلّمت فجميعهنّ دراري
ورنت اليّ بمقلةٍ نوّامةٍ ... منعت منامي عندها وقراري
فكأنّها عينُ الحداةِ[1] وانّما ... بُدئت بجرّدةٍ من الاضارِ
فتنتْ لطافتها الصباة فراقبت ... تمويها لتسرّ في الاسحارِ
واشار معصمها الينا فانثنت ... بيض النصال فبنّ في الاستارِ
طلع السوارُ بها وليس بجائرٍ ... اخفاء بعض نظيره بسوارِ
ومن المحارم ان تقوم وعنقُها ... بيضاء يحجبها سوادُ خمارِ
غرثى الوشاح[2] كأنّها خُلقت من الماء ... الزلال صفا من الاكدارِ
لولا الثيابُ لشفّ دونك صدرُها ... عن قلبها فطمتَ بالاسرارِ
ما كان وجهكِ يا سلامةُ روضةً ... إلّا ودمعي كان من امطارِ

ومن العجائب روضةٌ فيأحةٌ ... كرمت مجاورة الحيا المدرارِ
لي بين صدرك والمحيّا وقفةٌ ... بين الأبيرقِ والنقا المؤارِ
والله ما احدقتُ غرهما سوى ... لأرى الهلال يلوحُ فوق نضارِ
ما فوق حسنك في الورى حسنٌ ولا ... فوقي من العشّاق قطّ مبارِ
لا ادّعي كبر الغرام وانّما ... نسبي اليك لقد افاد فخاري
اصبر اليك على التهتُّك[3] في الهوى ... ان المحبَّ مهتّكُ الاستارِ
لا اشتكي خدرًا[4] برحلي غائبًا ... ودعايَ باسمكِ ليلي ونهاري
أحببتُ ذكرك والطروبُ مولّعٌ ... شغفًا بذكرِ مواقع الاوتارِ
فاذا ذكرتكِ في الفنار وجدتُ بي ... ما بالمترّيل جنانةِ الخمّارِ
واذا ضحيتُكِ في الدجنّةِ لم اكن ... إلّا صحيب الكوكب السيّارِ

---

١) الحداة : الرخمة . قيل ان عينها اذا وُضعت تحت رأس النائم فلا ينقل بحيث لا يعلم (حاشية في الاصل) .

٢) رقيقة الخصر (في الاصل) .

٣) لقد طفا قلمُ الشيخ فسطّر هذا البيت عن دوس ! وللشعراء مثل هذا الطرفان في الشعر فيقولون ولا يفعلون .

٤) قيل : اذا خدرت رحل الانسان فدعا باسم أحبّ الناس اليه ذال الخدر (في الاصل) .

واذا لقيتُ بكَ الخليفةَ شافعاً ... أغنى قوامكَ عن قضيب الغار[1]
يدعو جمالك الى المحبة غاصباً ... عجباً وتُصفين بالعطّار
فكأنهُ حجرُ الهلال وقلب من ... يدنو اليه فضّة الحجّار
لولا قناعكِ اصبحت مهجُ الورى ... من آل عذرةَ خالماتِ عذارِ
ما زلتِ صائنةً جمالكِ مثلما ... صان « الامين »[2] ودائعَ الاسرارِ
طلّقتُ الانامل واللسان وانّما ... جمعا اختلافُ البذل والادخارِ
لو كان بذلُ بنانهِ بلسانهِ ... ولّت مراثرهُ على الادبارِ
او صان درهمهُ كسرّك لم يجد ... بالبضعِ منهُ على السؤالِ لعارِ
حسن الوفاء وفاؤهُ لسؤلِ[3] ... لولا المذلّةُ في احتمال الشارِ
كالنار بالانوار والاقدار بالاخطار والازهار بالاعطارِ
يلقاك مبتسماً ويبسُ مرّةً ... فتروح بين مواقع الاقدارِ
فكأنّ بَلْجَةَ[4] حاجبيهِ مسافةٌ ... طُبعت عليها شفّةُ الاعمارِ
رَيّانُ معتملُ القنا فتعجّبوا ... ما يُعملُ المطّارُ بالمطّارِ
يلقى بساعدهِ الكُماةَ وانّما ... يلقى بسيفِ عليّهِ الكرّارِ
لو كان في ذي قارَ يوماً اذ لَمَا ... نادى بنو شيبانَ في ذي قار[5]
وهوى المجوسُ رواكماً لحسابهِ ... أدباً. وقد طلبوهُ شلةَ نارِ
يعلو محجّلةً حكتْ بعض الدجى ... أقرن ثمّ خلّفنَ بالاسحارِ
لو نال صاعقةَ النمام صهيلُها ... لم تستطع فرّقاً فراقَ وجارِ[6]
ما شتَّ قبلها جواداً فوقهُ ... أسدٌ ولا أسدًا بلا اظفارِ
يغني الظبا فيكاد قبل وصولها ... ينشقُّ مفرقُ هامةِ الجبّارِ
وتكاد تشتملُ القناةُ بكفّهِ ... لولاهُ يسقيها دمَ الأنفارِ

---

١) قيل ان الحكماء اليونان اذا دخلوا على الملوك يحملون قضيب الغار تفاؤلاً بقضاء غرضهم (في الاصل) .

٢) الحمد لله على التقاء الشيخ بالامير بعد طول المسافة والمسير . ومن عادة الشعراء الاقدمين ان يستهلوا قصائد مدحهم بالغزل والتشبيب .

٣) السؤال : رجلٌ اودع عندهُ امير قيس درعاً ، فسأله لغيره ومات من اجله (في الاصل) .

٤) البلجة : ما بين الحاجبين (في الاصل) .

٥) ذوقار : مكان فيه حرب بين العرب والعجم وكانت النصرة فيه عن يد هاني مسعود الشيبان (في الاصل) .

٦) الوجار : الوكر (في الاصل) .

ابدًا يفرُّ من الفرار كأنما ... ظنَّ المنون تخبَّأت بفرار
ويخوضُ فرسان الوغى فتخالهم ... فردًا اذاة الفيلق الجرَّار
ومتى تفحَّصهُ المقدَّم مقبلًا ... نادى بصاحبهِ حذار حذار
ليس المقدَّمُ بالجبان وانما ... بين الرجال تفاوتُ المقدار
يلقى الوغى فردًا ولكن حولهُ ... رُسُلُ المنيَّةِ فهوَ في أنصار
والخيلُ تعثرُ في العجاج ضليلةً ... نظرًا ، فتهديها بروقُ شفار
عقد الغبار فلو رماه برجمهِ ... رجلٌ تطلَّق في أديم غبار
وعلا فلولا ان يُظلِّل فوقهُ ... هبطت عليهِ طوالعُ الاقمار
عَجَبًا لهُ نحيي وتقتلُ كفُّهُ ... في حالةِ الايراد والإصدار
فكأنَّما البحرُ العرمرمُ جامعًا ... للناس بين النفع والاضرار
لو تأل الاعداءَ عنها انكرت ... ان لا تكون من القضاء الجاري
او تأل العافي لأنكر قتلها ... وهيَ الحياةُ ، بصارمٍ بتَّار
غمَرَ العفاةَ نوالهُ فتخالهم ... سُفُنًا تردَّدُ بين موجِ بحار
شكروا مواهبهُ ولو لم يُعطهم ... شكروهُ خوفًا من هجاء عمار
حبُّ الألوفَ يمينهُ وكأنَّهُ ... للأربعينَ لم يجد بيسار
لو لم يزرهُ القوم نحو ديارهِ ... جعل الهبات لهم من الزوَّار
ما زال مستبقَ النوال كأنَّما ... ظنَّ السؤالَ من ارتكاب العار
لولا ارادتهُ عموم نوالهِ ... أعطى خزانتهُ لأوَّل طار
لا بدع في كرم الامير فليسهُ ... بأجلَّ من ادبٍ بهِ ووقار
لو شاءَ انكار المكارم والتقى ... لأتى على التسليم بالانكار
يا من اذا ما سال قال حسامهُ ... « حكمُ المنيَّةِ في البريَّةِ جارِ[1]
واذا اناهُ المالُ قالت كفُّهُ ... « ما هذه الدنيا بدار قرار »
واذا اقتفاك على ارتحالك راكبٌ ... لم يدرِ هل هو سائرٌ ام سارِ[2]
واذا تُباعُ كريمةٌ او تُشترى ... فسواك بائعها وانت الشاري
لا يغرر الحسَّاد حلمُك انهُ ... حسدُ المواهب آفةُ الاطهار
ذهبت بهِ قِدمًا ثلوبُ عبيسٍ على ... جفر الهبات بنقسِ كلِّ فرار

انت أنتَ اشراف ولو لم يشرفوا ... لشرفتَ انت بخلقك المختار

---

١) مطلع قصيدة لابن الحسن التهامي يرثي بها ولده .
٢) السائر : الماشي نهارًا . والساري : الماشي ليلًا (في الاصل) .

ولقد يُباري في الفخار مطاولاً حتى يُقال بنو الشهاب مبارِ
سبق « البشيرُ » ابوك في سنن العلى فلحقتهُ في اول المضمارِ[1]
فلو انتنبتَ على تربلك جالساً سادى « أبا سعدى » فقلتَ بدارِ
او راكباً او ضارباً او خاطباً او كاتباً او راهباً او قارِ
عجباً لسيفٍ في بنانك كيف لا يخضرُّ من خصبٍ لها بجوارِ
وعجبتُ يحملك الجوادُ وقد جرى خَبَباً وكفُّك حامل الاقطارِ
لم تُبقِ سهماً في الكنانةِ بعد ما وافيتها لشوائب الاكدارِ
لو لم يقل هذا الامينُ مبشّرٌ ظنّتك يوسف مالك الاحرارِ
جادت عليك ببعضها ولو أنّها لك ما بخلت بها على أبنِ مزارِ
وتغايرت حمداً عليك فلو إذن قدرت لضُمّت كلُّها في دارِ
يا مالك العليا ولو لم تأتها لأتتك ماشيةً على الابصارِ
لم يرضها رجلٌ سواك وهل لها كفءٌ نظيرك من بني الأعصارِ
حتى اذا فارقتها لم تستمر كمروس هذبةَ ، مدية القصّارِ

هذا مديحك ، بل لأنت مديحهُ يا كعبة الشعراء والأشعارِ
اني نظمت لك القريض وطالما نفحت بنانُك ناظماً بنثارِ
والشعرُ احسن ما تكلّفهُ الفتى للقاء مثلك في عباد الباري
ما زلتَ خيرَ العالمين وخيرَ ما للعالمين رويّة الافكارِ

« وقال يرثي[2] » (بطرس بك انطون بطرس)

هل تُبالي بن تركتَ يتيما وتُبالي بن تركتَ سقيما
لا وعينيكَ والترابُ عليها بدل الكحل فوقها قد أقيما
لستَ بالراحل الذي يذكرُ الاهلين او يذكرُ الحمى والرسوما
عندنا فجعةٌ عليك وما نحنُ بالٍ ولستَ منا عليما
تكذبُ الريحُ لا تؤدي سلاماً نحوك منا فتبعثُ التسليما
بيننا أبعدُ البعاد وأدنى القرب م لا حبّذاهُ قرباً ذميما
رحلةٌ لا تعودُ منها ولكن عن قريبٍ تجرُّ منّا الخطيما
لو تدومُ الحياةُ قبلاً لحيٍّ لرجونا حياتنا ان تدوما
كلُّ حيٍّ يُميتهُ الدهرُ حتى يوشك الدهر ان يُميتَ النجوما

1) الميدان (في الاصل) .
2) المخطوط ص ٤٧١ .

لم تَدُمْ هذه الحياةُ ولم تبقَ لعيسى ، فحلَّ موسى الكليما
عَلِقَ الناسُ بالزمان حديثًا وتلقّاهُ آخرون قديما
ليس في الدهر علقةٌ لبنانٍ فهو يمضي ويستحثُّ الجسوما
ليلةٌ لا صباحَ فيها وخطبٌ حيلة المرء عندهُ لن تقوما
يُقتلُ المرءُ بيننا ثمَّ لا نطلبُ ثأرًا وقد عرفنا الغريما
جلب الدهرُ اهلهُ فاذا طا لبَ بالأخذ لا يعدُّ ظلوما
واذا ما أدّعى الترابُ علينا انتا منهُ أوجبَ التسليما
يذكرُ الشيخُ والإمامُ فصولًا ليس تنفي المرؤوس والمأموما[1]
علّةُ الموت فوق ذاك ودريا قُها لا ينالُ تلك السموما

أيها الغائبُ الذي غاب في التر ب رويدًا فقد نزلتَ الصميما
لم يغبْ ذلك المحيَّا عن العين ولكنَّهُ اختفى توهيما
انت نصب العيون تخطرُ في النفس فما زلتَ للنفوس نديما
ومن الغائبين أدنى الينا من حضورٍ ترى لهم اقتوما
لم يُمتْ ذكرك الجميلُ ولا ما تتَ سجاياك حين مُتَّ كريما
انت تبلى والصبرُ والانسُ واللذّاتُ قد صار كلهنَّ دميما
ويعيشُ البكاءُ والنوحُ والوحشةُ والشوقُ بعدهنَّ عموما
لك في الحيِّ خطرةٌ بعد أخرى كلما نذكرُ التقى والحُلوما[2]
لو يصحُّ الفداءُ عنك لأقدمتُ وأخرتُ يومك المعلوما
ذلك اليوم كم أذاب قلوبًا نقرضها العيونُ دمًا سجيما
قد اخذتَ النبيَّ قسًا كما اختر تَ وخلّفتَ في القلوب الجحيما
سرت عنا بلا وداعٍ فودّعنا المسرّات والتفينا الهموما
عدم الصبرَ عنك صاحبُ عينٍ تسهلُ الدموعَ دالًا ومبا
ليس في قلبه متى بعد أيا مِ لقاهُ فكيف صار المطيما

أيها اللوذعيُّ « بسترسُ » الشهمُ العصاميُّ والهمامُ الحكيما[3]

١) الشيخ : لقب ابن سينا . والإمام : لقب بقراط . والمرؤوس والمأموم : الذي يشكو رأسهُ وأمَّ رأسهِ (في الاصل) .
٢) من الحِلم بالكسر : الاناة ، وضدّ الطيش ، والعقل . جمع احلام وحُلوم .
٣) ان نصب لفظة « الحكيم » افراء في اصطلاح الشعراء ، وقد يجوز تخريج النصب باضمار لفظة (أنادي او اعني) لا سيما انّ المتام مقام منادى ، والمنادى مفعول به بالمعنى .

لك من جدك السمي بك اسمٌ وصفاتٌ تحكي الجمانَ النظيما
نغمةٌ في فكاهةٍ في احتشامٍ في مضاءٍ في حكمةٍ لن تضيما
وسلوكٌ في طاعة الله لا ينفكُّ يقفو صراطها المستقيما
عشتَ في الناس راحماً يا ابن انطون وقد متَّ بينهم مرحوما
ما بقي حاجةٌ لدى نفس يعقو ب[1] وقد جئت حضن ابراهيما
طالما كنتَ في الفضائل تحتا رُ مسيرًا لدى الاله قويما
خيرَ سعيٍ سعيتَ فاسم تـاريخي جزاءً فقد بلغتَ النعيما
٢٠١ ١٤٢٢ ١٨٤ ١١

سنة ١٨٢٨

« وقال (الشيخ ناصيف اليازجي) في رسالةٍ بعث بها الى المعلم بطرس كرامه »[2] .

شوقٌ اليك بقلبٍ عنك لم يَغِبِ أليس ذلك في الدنيا من العجبِ
وحبّذا الشوق منسوباً اليك ولو اذاب قلبي فـان الحبَّ بالنَّسَبِ
يشوقني أنكم طيباً فاذكرُهُ فلا تلمني اذا استغرقتُ في الطربِ
وما ذكرتُ لقاءَ الحيِّ عن عبثٍ وما طلبتُ لقـاءَ الحيِّ عن أَرَبِ
قد وحّد الحبُّ حُبّيكَ القديمَ بهِ قلبٌ نكنّيهِ احشائي ابـا لهبِ
اخشى على الحبِّ من نيران صبوتهِ لو لم يكن حبُّكم من خالص الذهبِ

٥

لا واخذَ اللهُ اقلامي بان بدلت رؤيا الوجوه برؤيا الخطِّ في الكُتُبِ
وهكذا الدهرُ يا مولايَ عوّدني كلَّ ابتذالٍ انى في كلِّ مُطّلَبِ
يا طالما صنتُ نفسي عن تعرُّضهِ وظالما جدَّت الايامُ في الطلبِ
اقولُ ما ليس يرضيني توهّمُهُ «وانَّ في العسر معنى ليس في العنبِ»[3]
لا بارك الله في نظم القريض فـا حصلتُ منهُ على شيءٍ سوى التعبِ
وكلّما قلتُ يا مولايَ قافيـةً سمعتُها ، يا حماك اللهُ ، تضحكُ بي

١) مثل من امثال العرب يُضرب في نوال جمع المطلوب (في الاصل) .
٢) المخطوط ص ٤٨٣ . نُشر من هذه القصيدة في ديوان الشيخ ، طبعة ميخائيل رحمه ص (ع) اربعة عشر بيتاً فقط . واما نقلها عن المخطوط المشار اليه ونشرها بكاملها ، وهي في الديوان المطبوع غفلٌ من اسم بطرس كرامه المهداة اليه . وقد عرّض الشيخ ببعض ابيات هذه القصيدة باغراض لا تخفى عن القارئ .
٣) عجز بيت شعر للمتنبي :

وان تكن تغلبُ الظباءُ عنصرَها فان في العسر معنىً ليس في العنبِ

وما القريض وهن معنى يُرادُ بهِ ... إلّا انتراضٌ لهُ من غارة الحقبِ
تطنّهُ يبتغيها المرء منفردًا ... ويتّقيها اذا مرّت على الصُحُبِ
قد كان لي ، والاماني غضّةٌ ، طمعٌ ... في جانب النصر او في جانب الطَلَبِ
حتى نبيْتُ في الاوراقِ ضرب يدي ... كضربةٍ فضحت ورقاءَ[1] في العربِ
يا طالما ظلمتْ عيني بهِ سهرًا ... اجفانُها فجزاها الظلمُ من كثَبِ
وطالما رمَت كفّي البراعَ قلم ... تعرف سواهُ ولم تستغنِ بالقصَبِ
تحبّهُ كلّ يومٍ منهُ يقرأُها ... على الاماني رسولُ المكرِ والكذبِ
سمتُها قبل انشادي فقمتُ لها ... فورًا وأنشدتُ واعتادت فلم أجبِ
من يجمع النار فوق الماء في يدهِ ... يكادُ يفرق بين الفقر والادبِ
مطيّةٌ ربّما اقضت براكبها ... حتى امتطتهُ ، ولا تألُ عن السببِ
لولاكِ واللهِ لم أضربْ لهم وتدًا ... في ربع قيسون لا في ربعِ الخَرِبِ
وكم تكلّفتُ بيتًا كنتُ أضربهُ ... فرحتُ بين عمودِ البيتِ والطُنُبِ
انت ابنُ بجدتهِ الراوي غرائبهُ ... ومن سواك غريبُ الدار والنسَبِ
تجري اليك بهِ الاقلام ساعيةً ... على الرؤوس وذاك السعيُ لم يخبِ
وما يكلّف مثلي نظمهُ وانا ... أهنا نصيبيَ منهُ سورةُ النصَبِ

٥

حسبي اذا قيل اني شاعرٌ صفةٌ ... وليس حسبي كتابُ الشعر في الكتبِ
استغفرُ اللهَ من عصرٍ أضعتُ بهِ ... بعضًا من الجدّ في بعضٍ من اللعبِ
واللؤلؤُ الرطبُ ان لم يزنِ صاحبهُ ... فأين فرقُ الحصى واللؤلؤ الرطبِ
تكلّف السعد اقوامٌ على سببٍ ... فقاصم وأتى قومًا بلا سببِ
وان سهمك لا حظٌّ يلاحظهُ ... ولو رميتَ به البيداء لم تصبِ

٥

ومُرجعٍ في طرفًا لا يقلّبهُ ... إلّا على جهةٍ مأنوسة الريبِ
يا طالما لفظتني عينهُ وانا ... كالكحل يُلفظ من جفنٍ ولم يُعبِ
من دونهِ قابُ قوسٍ حين انظرهُ ... مني ودون رضاهُ سبعةُ الشُهُبِ
يُغضي ويزورُّ إعراضًا فأظلمني ... من شدّة الحلم لا من شدّة الغضبِ
طوى على عثراتي كشحَ مشتهرٍ ... ولبتنا لو تواقفنا على عتَبِ
وما بعينيهِ وَهنٌ حين ابصرني ... لكنّ وجهي من البأساء في نُقَبِ[2]

١) ورقاء : رجلٌ عبسي ، ضرب قاتل ابيهِ بالسيف ولم يسل شيئًا ، فسار مثلًا (في الاصل) .
٢) جمع نقاب .

من لي وإياك اعني بأمن منجبة ... يقول ابن الهنا من موضع الكُثُب[1]
رسالةٌ انت اولى من عرفت بها ... وانت بالامر اولى من اخٍ وابِ
وان نسبةَ قلبٍ بيننا جمعت ... ادنى لنا صلةً من نسبة العصبِ

٥

كرامةٌ منك بين القوم نعرفها ... منقولةٌ عنكَ عن آبائك النُجُبِ
«وقلَّما ابصرت عيناك من رجلٍ ... إلَّا ومعناهُ في اسمٍ لهُ لقبِ»
وانت اسرعُ من لبى واصدقُ من ... وفى وخيرُ امرءٍ للخير مُنتدَبِ
متى اخذتُ عليك العهد واحدةً ... فان ثانيةَ العهدين لم تجبِ

«وله في الشيخ امين الدحداح[2]»

لعينك ما بقلبي من شجونِ ... فيا عجب الحريق من العيونِ
ومنك صبابتي وعليَّ منها ... تحمّلها وليك بالمينِ
عرفتُ هواك منذ عرفتُ نفسي ... فهدي بالجنون من الجنينِ
وأعجبُ انني أقوى وبقوى ... وينمو كلَّما ذبلت غصوني
اليك اليك اشكو غير اني ... أُعيذك من جرا الحقّ المبينِ
وما الشكوى اليك وانت خصمٌ ... وما في العشق يا أُمي أرحميني
ولكني ألذُّ بذكر وجدي ... واشتقُّ الظنون من اليقينِ
وأحجنُ منهُ صافيهُ وان لم ... يكن بين الصفاء الى الحجونِ
يهيجُ مدامعي شوقي فاني ... أصبُّ الغلب او صبُّ الجفونِ
وأصفو كلما كدرت كأني ... امينُ الطبع او طبعُ «الامينِ»
همامٍ فاضلٍ برٍّ أنوفٍ ... إمامٍ كاملٍ حرٍّ رصينِ
تعالى الله ما احلاهُ وِرْدًا ... وأعلقَ راحتيهِ بالفنونِ
تروَّح بالمكارم فهي ثوبٌ ... ولكن لا يرثُّ الى المنونِ
اذا مرَّت بشأوٍ خفاقًا ... تناولها ثمالًا باليمينِ
يعدُّ المطل في الاحسانِ عيبًا ... وقد حسب الحياتِ من الديونِ
وبين بنانهِ قلمٌ قصيرٌ ... لهُ فعلٌ طويلٌ في الشؤونِ
اذا ما خطَّ في القرطاس خطًّا ... أرانا الملكَ فوق الياسمينِ
وفي نظم القريض لهُ قروطٌ ... تُعلَّقُ بالنهى لا بالجبينِ
يكادُ يميلُ من لطفٍ ولكن ... قواعدهُ على الوجهِ المتينِ

(للمقال صلة)

١) الجرَب .
٢) المخطوط ص ٤١٧ .